الانعكاسات البيئية والاقتصادية والاجتماعية لزراعة القنب الهندي بمنطقة غفساي بالريف الأوسط المغربي

تاريخ الإرسال 2019/ 12/12 — تاريخ القبول 2020/5/20

مناجي محمد(*) صباح بوصفيحة (†)

الملخّص

نهدف –من خلال هذه الدراسة– إلى إبراز مدى تأثير زراعة القنب الهندي في تطوير حياة الفلاح القروي وتغييرها اقتصاديا واجتماعيا، في حين أنها تضر بالمنظومة البيئية بمنطقة غفساي. ولمقاربة هذا الموضوع أكاديميا، ارتكزنا على المنهج النسقي وذلك لأهميته في إبراز مختلف العلاقات والتفاعلات بين فقر المجال (غفساي) ومحدودية إمكانياته من جهة وارتفاع النمو الديمغرافي الذي أدى إلى تضاعف الحاجيات المتزايدة للإنسان القروي من جهة أخرى، وما ينتج عن ذلك من اختلال التوازنات البيئية. كما توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى أهم النتائج والتوصيات، ندرجها على الشكل الآتي:

- تراجع المساحة المخصصة لزراعة الحبوب بين 2014 و2017 بأكثر من 4000 هكتار سنويا، وتعويضها بزراعة القنب الهندي.
- تطور الدخل السنوي للفلاحين، حيث انتقل من 7500 درهم سنويا قبل الزراعة إلى 42333 درهم بعد الزراعة.
- انعدام نسبة الفقر المدقع التي كانت تبلغ 33 % قبل الزراعة، فيما تراجعت نسبة الفقر من 44% إلى 17% خلال سنة 2017.

(*) طالب باحث بكلية الآداب والعلوم الانسانية ظهر المهراز – فاس.
(†) أستاذة باحثة بكلية الآداب والعلوم الانسانية ظهر المهراز – فاس.

- تطور نسبة فرص الشغل من 17% إلى 43.33% خلال 2017.
- على المستوى الاجتماعي: لاحظنا تطورا مهما للهجرة المعاكسة، حيث قبل زراعة القنب الهندي كانت تيارات الهجرة تنطلق من منطقة غفساي باتجاه المدن، وسرعان ما أصبحت المنطقة مجالا لاستقطاب المهاجرين، إضافة إلى تفشي القيم الرأسمالية(انتشار العمل المأجور) على حساب قيم التضامن والتعاون الأصيلة والمتمثلة في ظاهرة التويزة.
- على المستوى البيئي: تؤثر زراعة القنب الهندي بشكل سلبي على البيئة من خلال تدهور المجال الغابوي عن طريق الاجتثاث والحرائق لتوسيع مساحات الكيف، والضخ الكبير للمياه لسقي الحقول، تعرية التربة...الخ.

كل هذه العوامل تؤدي إلى اختلال التوازنات البيئية بمنطقة غفساي، وهو ما يفرض على الدولة أن تقوم ببلورة مشاريع اقتصادية لتحريك عجلة التنمية بالمنطقة، وتثمين الموارد الترابية بالمنطقة (الزيتون...) بهدف خلق رواج اقتصادي وتنمية ترابية، تقنين زراعة الكيف، واستثمارها في المجال الطبي والصناعي، إنشاء تعاونيات اقتصادية واجتماعية تهدف إلى خلق فرص الشغل داخل هذا المجال القروي المهمش، تطوير البنية التحتية والتجهيزات السوسيواقتصادية بمنطقة غفساي وجعلها قطب إشعاع وجذب للاستثمارات...إلخ.

المفاتيح: –غفساي،الفقر،القنب الهندي،البيئة،الهجرة المعكوسة.

The environmental, economic and social repercussions of the cultivation of Indian cannabis in the region of Ghafsai in the central Moroccan countryside

Abstract

The study aims to highlight the impact of Indian cannabis cultivation on the economic and social development and change of rural peasant life while affecting the environmental system in the region of Gefasai. To approach this subject in academic terms, we have built on the feminist approach because it is important to highlight the different relationships and interactions between the poverty of the field (Gefasai) and its limited potential, on the one hand, and the rise of demographic growth, which has doubled the increasing needs of the village human beings, on the other, and the resulting environmental imbalances.

We have also found the most important findings and recommendations in this study, which we include as follows:

- The grain area between 2014 and 2017 has been reduced by more than 4,000 hectares per year and is offset by Indian cannabis cultivation. The development of the annual income of farmers; he moved from 7,500 DHS per year before agriculture to 4, 2333 DHS after agriculture.
- The absolute poverty rate, which was 33% before agriculture, fell from 44% to 17% in 2017.
- The proportion of job opportunities developed from 17% to 43.33% during 2017.
- Social: We have noted an important development of opposite migration, as before the cultivation of Indian cannabis, migration flows from the Ghafsai region toward the cities, and the region quickly became a popular attraction for immigrants, as well as the spread of capitalist values (the spread of paid labor) at the expense of the inherent values of

solidarity and cooperation represented by the Twiza phenomenon.

On the environmental level, the cultivation of Indian cannabis negatively affects the environment through the degradation of the absentee fields by uprooting and burning to expand the area of the air, the excessive water pumping of the fields, the erosion of the soil, etc. All of these factors lead to environmental imbalances in the region of Gefasai. This imposes: The state should develop economic projects to promote development in the region. The land resources of the region are considered valuable in order to create economic growth and to develop the soil. The legalizing of the cultivation of the kif and its investment in the medical and industrial fields. establishment of economic and social cooperatives aimed at creating employment opportunities within this marginalized rural area. Developing the infrastructure and socioeconomic equipment in the Ghafsay region, making it a radiation pole and attracting investments, etc.

Key words: -Ghafsai -Poverty -Canabis –Environment -Reverse Immigration.

مقدمة

تعد منطقة غفساي من المناطق الهشة/المهمشة ضمن الريف الأوسط، حيث تعاني العديد من الاختلالات المجالية والاقتصادية والاجتماعية، فالموارد الطبيعية تعرف تدهورا ملحوظا، نتيجة الظروف المناخية غير الملائمة، والضغط البشري المكثف، إذ تعاني التربة من ظاهرة التعرية بشتى أنواعها، إضافة الى تراجع الغطاء الغابوي واستنزاف الموارد المائية وتلويثها...إلخ.

ديمغرافيا، عرفت الكثافة السكانية ارتفاعا نتيجة قدم الاستقرار وتعدد القبائل بالمنطقة (بني زروال، بني ورياغل، بني أحمد...)، كل هذه العوامل نتج عنها فقدان التوازن بين الموارد الطبيعية المحلية وحاجيات الساكنة المتزايدة.

أمام تفاقم هذه الإشكالات، وفشل تدخلات الدولة في تعبئة واستثمار ما تزخر به المنطقة من مؤهلات تنموية مهمة (سياحية)، لتطوير البنيات الاقتصادية والاجتماعية والمجالية، ولضمان التوازن بين إمكانيات المجال ومتطلبات سكانه، لم يجد السكان خيارا في البحث عن مصادر أخرى تمكنهم من تحسين أوضاعهم المعيشية المزرية، سوى التوسع على الملك الغابوي لتوفير الأرض، وذلك ليس لإقامة زراعات تقليدية (حبوب، قطاني...) وإنما للتعاطي لزراعة "محظورة قانونيا، محرمة دينيا ومرغوب فيها اقتصاديا"، متمثلة في زراعة الكيف.

مشكلة الدراسة

تتمحور إشكالية البحث حول ملامسة موضوع له حساسية كبرى: "القنب الهندي"، الذي ظل حتى وقت قريب من الموضوعات المسكوت عنها، وما زالت العديد من الوثائق الرسمية تتحاشى ذكره بالاسم وتنعته بـ(الزراعات التسويقية، الزراعات الصناعية...)؛

حيث تم التركيز على الظروف الطبيعية والبشرية المشجعة على التعاطي لهذه الزراعة، وكذا وقعها البيئي والاقتصادي والتحولات الاجتماعية التي اعقبتها.

- فما هي الاسباب الحقيقية التي كانت وراء تعاطي الساكنة لهذا النوع من الزراعات؟ وما هو المنطق الذي يحركهم؟
- الى أي حد يساهم النظام الزراعي المعتمد في خلخلة التوازنات البيئية بمنطقة غفساي؟
- هل يمكن اعتبار الفقر دافعا رئيسا لممارسة هذا النشاط؟
- ما علاقة هذه الزراعة بالواقع الاقتصادي القروي؟
- هل يمكن القول بأن زراعة الكيف لعبت دورا مهما في تحسن المستوى المعيشي للفلاحين؟
- كيف يمكن رصد التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي أحدثتها هذه الزراعة؟
- ماهي الأضرار البيئية الناتجة عن هذه الزراعة؟

منهجية الدراسة

لمعالجة هذا الموضوع قمنا باتباع النهجية التالية:

أولاً: الاطلاع على بعض الدراسات التي تناولت هذا الموضوع وكذا البحوث الأكاديمية التي تطرقت إلى دراسة المنطقة طبيعيا، تاريخيا واجتماعيا.

ثانياً: مرحلة البحث الميداني، التي يمكن تقسيمها إلى مرحلتين:

1- قمنا بزيارات ميدانية للمجال المدروس عموما، وإلى حقول الكيف على وجه الخصوص قصد تحديد مختلف الظواهر وتصويرها وجردها، إضافة إلى تنظيم مقابلات وملء استمارات مع مزارعي الكيف قصد جمع مختلف المعلومات حول هذه النبتة (القنب الهندي) وأخذ ارتساماتهم واقتراحاتهم.

2- الاتصال بالمصالح والإدارات بهدف جمع والوثائق والاحصائيات.

ثالثا: مرحلة العمل الكارطوغرافي، والتي تناولت معالجة المعطيات الاحصائية وإنجار الخرائط وذلك بالاعتماد على برنامج نظم المعلومات الجغرافية .ArcGis

وبناء على هذه المعطيات قمنا بتقسيم هذا الموضوع إلى المحاور التالية:

- المؤهلات الطبيعية والبشرية بمنطقة غفساي.
- العوامل التي أدت إلى بروز زراعة القنب الهندي.
- الانعكاسات البيئية والسوسيواقتصادية لهذه الزراعة المحظورة.

1. المؤهلات الطبيعية والبشرية لمنطقة غفساي

- الموقع الجغرافي لمنطقة غفساي

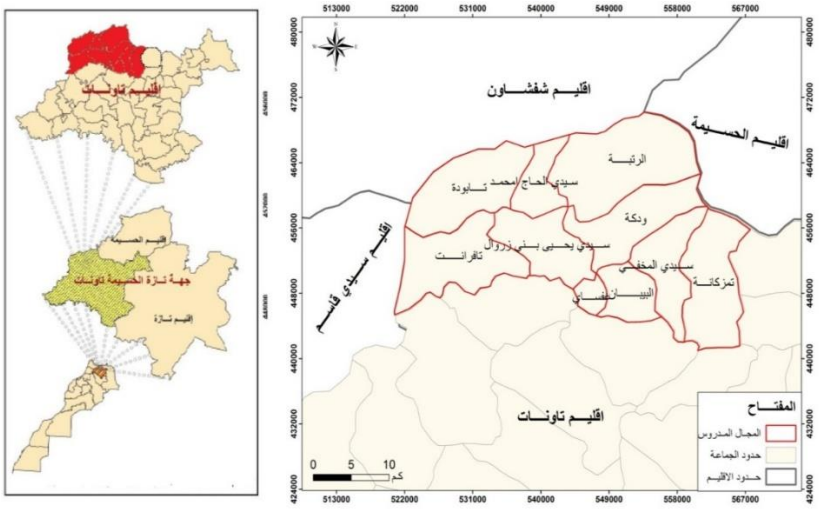

المصدر: قسم الخرائط،مديرية الاحصاء،الرباط
معالجة شخصية

خريطة رقم1: موقع منطقة غفساي ضمن اقليم تاونات وضمن خريطة المغرب

تنتمي هذه المنطقة إلى سلسلة جبال الريف الأوسط التي تقع بين خطي طول 4° 45' و 5° غرب خط كرينتش، وخطي عرض 34° 30' و34° 45'، شمال خط

الاستواء. على مساحة تقدر بحوالي 9,8 كلم2. تمتد في جزئها الغربي لتشمل الحدود الإدارية لشفشاون المنتمية لسلسلة الريف الغربي، تلامس في جزئها الشرقي الحدود الإدارية لدائرة تاونات الموالية لجماعة متيوة، أما في جزئها الجنوبي فهي تحد بقبيلة بني ورياغل وقبيلة الحياينة، وفي جزئها الشمالي تتوغل في دائرة كتامة التابعة لإقليم الحسيمة...إلخ. وتعرف بمنطقة جبالة، حيث "يتعلق الأمر إذن بمجال اجتماعي لا يزال حبيس ظروف طبيعية ورواسب تاريخية فهو مجال لا يتوفر على الإمكانيات اللازمة للتخفيف من حدة تعرية التربة، كما أنه مجال تم تشكيله بشريا وعقاريا "[1]

- **تتميز التضاريس بسيادة الطابع الجبلي**

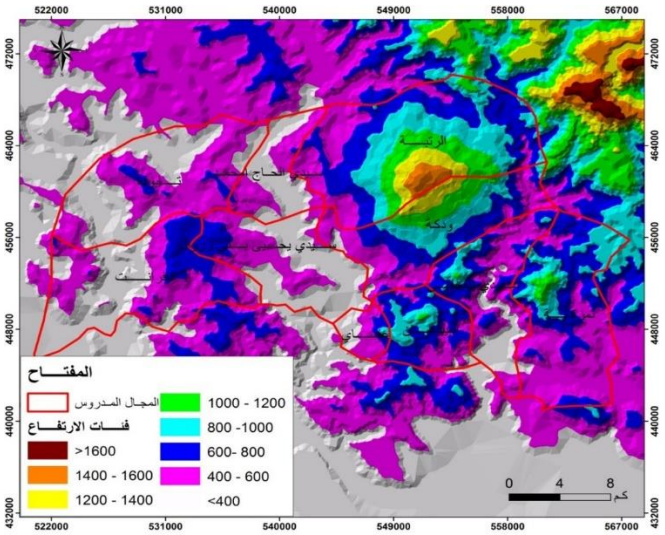

المصدر: الخرائط الطبوغرافية:بني احمد،كتامة،غفساي،تافرانت،تاموروت،تاونات.
النموذج الرقمي للاراضي،

خريطة 3: التضاريس وفئات الارتفاع بالمجال المدروس

[1] حسن ضايض،2005، "المجال والمجتمع جنوب الريف الأوسط"، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافيا، كلية الآداب سايس، فاس.

تتميز الأشكال الطبوغرافية لمنطقة غفساي بالتجزئة، وشدة تقطع السطح، وهي مميزات السلسلة الريفية خاصة في جزئها الأوسط، باعتبار أن المنطقة جزء لا ينفصل عن المجال الريفي وحسب Maurer (G) "فإن الجبال المنخفضة للريف الأوسط تبدو ظاهريا الأكثر تجزيئا من غيرها في الريف، لكن عندما نتوغل داخلها يظهر التجانس العجيب للوحدات الصغيرة التي تشكلها، إذ يتميز كل عنصر بارتفاعه المتوسط وبنظام جريانه وبوجود مستويات عليا مجاورة لمستويات منخفضة وبأعراف تتخذ عدة اتجاهات وبوجود تضاريس حادة ومنعزلة وغير مرتبة يصعب معه تحديد العلاقات التي توحدها. ويرى أن هذه الخاصية ناتجة عن البنية جد المعقدة الذي تميز هذا الجزء من الريف الجنوبي حيث تتعاقب الصخور الصلبة والهشة، وحيث تتخذ بروزات التراس الجبسية الملحية"[1].

ويمكن تقسيم المنطقة على مستوى الارتفاع إلى ثلاث وحدات، هي:

- من الجنوب باتجاه الشمال تنتشر وحدة جبلية شاسعة، يمثل بها جبل ودكة نموذجا للجبال المنعزلة، حيث يعد أعلى قمة بالمنطقة إذ يصل ارتفاعه إلى 1600م.
- بالجنوب نجد جبال الجاية شرق واد أولاي، حيث تتراوح الارتفاعات "ما بين 741 متر بجبل عين الريحان، و 896 متر عند سقف بوليد"[2].

[1] **Maurer. (G), « Les montagnes du rif central, étude géomorphologique », N° 14, Rabat, p : 56.**

[2] **الخريطة الطبوغرافية لغفساي بمقياس 50000/1 لسنة 1953.**

- وحدة المنخفضات والتي تمتد على طول واد أولاي، إذ يعد هذا الأخير" منخفض ضيق جوانبه منتظمة خطية، بينما يعرف وسطه تناقضات تسقط عليه صفة المنخفض نظرا لوجود مجموعة من الأعراف مثل جبل بوسفول 555 م"[1].

2. بنية جيولوجية معقدة

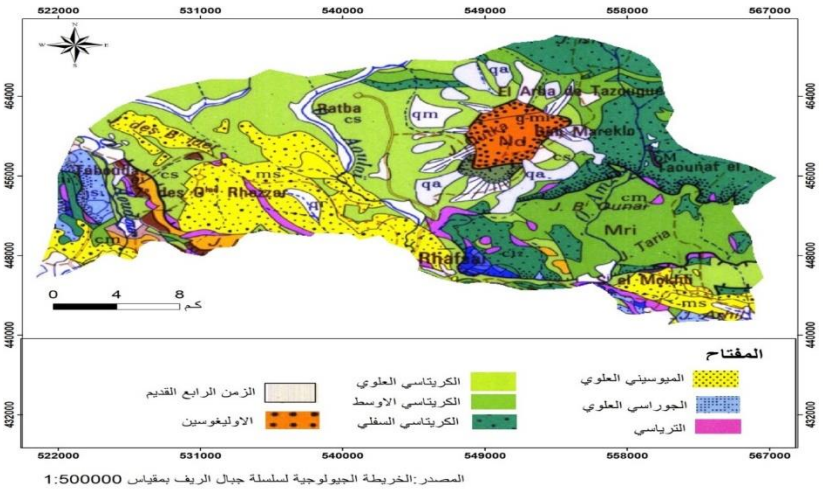

المصدر :الخريطة الجيولوجية لسلسلة جبال الريف بمقياس 1:500000

شكل رقم2:الخريطة الجيولوجية للمجال المدروس.

بشكل عام تنتمي البنية الجيولوجية لمنطقة غفساي "لسلسلة جبال الريف التي تشكلت معالمها الأولى بالموازاة مع الفترة التي تكونت فيها السلسلة الألبية نهاية الزمن الأول وأواخر الزمن الثاني، واكتملت مع الحركات الميوسينية نهاية الزمن الثالث "[2].

وقد ميز الباحث نجيم أعلوان استنادا إلى (G.Maurer 1968) بين مرحلتين لتكوين منطقة غفساي:

---

[1] **شاكر سعيد، 1995، "مظاهر التشكيل بمجال غفساي(الريف الأوسط): دراسة جيومور فلوحية"، بحث لنيل دبلوم الدراسة العليا في الجغرافيا، جامعة محمد الخامس، الرباط."**

[2] **بوشتى الفلاح، 2000، حركات السفوح والمخاطر المرتبطة بها في الريف الأوسط، أطروحة دكتوراة الدولة في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط.**

- مرحلة الغمر البحري.
- مرحلة ما بعد الطرطوني الأوسط.

3. سيادة المناخ المتوسطي بالمنطقة

- **التساقطات**

يتميز فصل الشتاء عموما بالاعتدال، رغم أن الحرارة قد تنزل إلى دون الصفر درجة كما هو الحال بالنسبة لمنطقة ودكة (Aalouan N 1952)، كما تتميز التساقطات بالتركز الواضح في الزمان والمكان بحيث يمكن أن تصل إلى 120 ملم في اليوم الواحد، وتزداد أهمية التساقطات من الجنوب نحو الشمال ومن الشرق باتجاه الغرب تحت تأثير عاملي الارتفاع والموقع الجغرافي.... الخ.

- **الحرارة**

تهدف متغيرة الحرارة إلى تحديد الفصل الجاف نظرا لأهميته كعامل بيومناخي أساسي لما له من تأثير واضح على النشاط الفلاحي والموارد المائية، فجل المحطات بالمنطقة تعرف على الأقل 4 أشهر جافة أو أكثر، وذلك من شهر ماي إلى غاية شتنبر، وقد تطول مدة الفصل الجاف أكثر من ذلك في حالة الجفاف المناخي، كما حدث سنة 1997 حيث عرفت عدة شهور جفاف واضحا.

4. وفرة الموارد المائية السطحية وضعف الموارد الباطنية

لقد ساهمت وفرة التساقطات المطرية وضعف نفاذية التكوينات الصخرية وسيادة التضاريس المرتفعة بمعظم تراب المنطقة، في وفرة المياه السطحية وضعف الفرشة الباطنية.

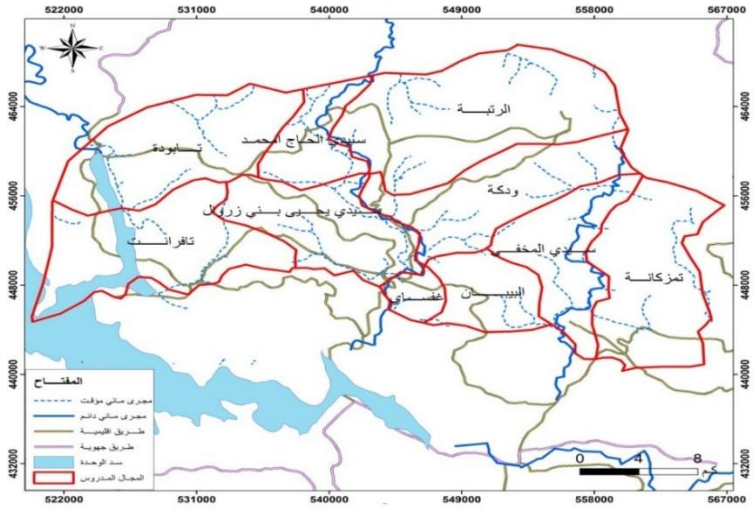

المصدر :الخرائط الطبوغرافية بني احمد،كتامة، تافرانت، تاموروت،تاونات، النموذج الرقمي للأراضي.

خريطة الموارد المائية بالمجال المدروس

ونشير إلى أن جل الأودية التي تتواجد بالمجال هي ذات تصريف موسمي باستثناء واد أولاي وأمزاز اللذان يتميزان بتصريف دائم الجريان.

5. تربة هشة معرضة لتعرية مائية زادتها زراعة الكيف فقرا وتدهورا

يمكن التمييز داخل مجال غفساي بين عدة أنواع من الأتربة، أهمها:

- **تربة الترس:** وهي تربة دكناء غنية بالمواد العضوية وتتميز بتعمق كبير ونسيج متوازن عموما والمشكل من الطمي والطين والرمال.
- **تربة الدهس:** تكونت نتيجة لتوضع التربات، توجد في قعور الأودية وعلى ضفاف الأنهار وهي خليط من حبيبات الرمل والحبيبات الدقيقة المتنوعة.
- **التربة الحجرية أو الصخرية:** وهي مزيج من صخور مختلفة (حث، رمل، طين....) توجد في المناطق المرتفعة في أقدام الأعراف والسفوح.

6. نمو ديموغرافي سريع

يتبين من خلال المعطيات الإحصائية أن مجال غفساي يحظى بحمولة سكانية هامة، وما تطرحه هذه الوضعية من صعوبة استقرار الريفيين بهذا الوسط، فالأمر يتعلق بمجال تسجل فيه الكثافات السكانية متوسطات مرتفعة، وتعدّ فيه من أهم عوامل الخلل وفقدان التوازن بين عدد السكان ومواردهم المحلية "إلا أن ما يهمنا ليس هو تحليل النمو الديموغرافي في حد ذاته، وإنما النتائج الاجتماعية المترتبة عنه، وفي منطقة فقيرة كالريف لم تعمل الزيادة الطبيعية السريعة للسكان سوى على تضخيم عدد الفقراء، وممارسة ضغط قوي على الأراضي القابلة للاستغلال الزراعي، مما يعني تعميق اختلال التوازن بين الحمولة الديموغرافية والموارد الفعلية المحدودة "[1] .

جدول رقم 2 :

الكثافة السكانية ببني زروال سنة 2014

الجماعة	عدد السكان	المساحة بـ كلم2	الكثافة السكانية ب ن/الكلم2
غفساي	6361	12	457
البيان	6303	36	175
ودكة	8494	102	83
الرتبة	16825	166	101
س. الحاج محمد	9326	51	182
س. المخفي	8705	81	107
س. يحي بني زروال	15452	95	162
تابودة	16618	131	126
تافرايت	14246	119	119
تمز كانة	16172	125	129

*** السنة المصدر : منغرافية بلدية غفساي،2016 + معالجة شخصية.**

[1] **محمد لزعر، 2003-2004، "هجرة الريفيين الى اسبانيا وانعكاساتها الاقتصادية والاجتماعية والمجالية: حالة إقليم الحسيمة"، أطروحة الدكتوراة الدولة في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية-ظهر المهراز-فاس.**

تترجم هذه الأرقام الثقل الديموغرافي الكبير الذي أصبحت تعرفه منطقة غفساي، ذلك أن معظم الجماعات تتميز بحجمها الكبير، بحيث يتجاوز متوسط عدد الأسر بها 2794 أسرة خلال إحصاء 2017، مقابل 2383 أسرة كمتوسط خلال إحصاء 2004، وتتميز من جهة ثانية بارتفاع عدد الأفراد لكل أسرة، حيث يتجاوز المتوسط 5 أفراد، هذا الوضع يبرز الثقل الكبير الذي تعرفه هذه المنطقة أمام الموارد المحدودة، فالأمر يتعلق بوضعية بشرية غير ملائمة، بل معرقلة للنمو، على اعتبار عدم قدرة المجال الاقتصادي احتواء ودمج كل الفئات النشيطة.

7. هشاشة الاقتصاد القروي أدت إلى بروز زراعة القنب الهندي

- زراعة معاشية لا تلبي حاجيات السكان

ترتبط الفلاحة بمنطقة غفساي بالظروف الطبيعية أساسا حيث تضرس السطح، تعرية التربة، عدم انتظام التساقطات، والعوامل البشرية والتاريخية متمثلة في صغر وتشتت الملكيات، تخلف وسائل الإنتاج، قدم الاستغلال، كل هذا ينعكس على مستوى المردودية والإنتاج إذ يظل المردود الفلاحي ضعيفا ومتذبذبا لدى فئات واسعة من الأسر الريفية، وهو ما يتضح من خلال الجدول التالي.

جدول رقم2:

تقويم مردودية الزراعات الخريفية خلال2007 في حالة تحسن الظروف المناخية (دائرة غفساي).

الجماعة المحلية	القمح الصلب		القمح الطري		الشعير	
	المساحة ب (هـ)	المردود ب ق/هـ	المساحة ب (هـ)	المردود ب ق/هـ	المساحة ب (هـ)	المردود ب ق/هـ
الرتبة	500	9	600	8	500	8
ودكة	400	9	500	8	500	8
سيدي يحيى بني زروال	500	9	600	8	400	8
س. الحاج امحمد	400	9	500	8	300	8

الجماعة المحلية	القمح الصلب		القمح الطري		الشعير	
	المساحة ب (هـ)	المردود ب ق/هـ	المساحة ب (هـ)	المردود ب ق/هـ	المساحة ب (هـ)	المردود ب ق/هـ
سيدي المخفي	500	9	500	8	600	8
البيبان	400	9	500	8	400	8
تمزكانة	450	9	500	8	400	8
تابودة	300	9	4500	8	300	8
تافرانت	300	8	500	8	400	8
غفساي	50	8	100	8	0	0

المصدر: المديرية الإقليمية للفلاحة تاونات 2013

- **تعقد الوضعية العقارية وسيادة ملكيات مجهرية مشتتة**

من أكبر المعضلات التي تعرفها الأرياف المغربية، وتكبح نجاح التنمية بها، تعقد النظام والبنية العقارية للأراضي والتباين الكبير في تملك الأراضي، ينعكس على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بالأرياف المغربية عامة، وتلقي بظلالها على الأوساط الحضرية خاصة، هذه العلاقة القائمة بين البوادي والمدن المغربية من شأنها أن تفرز تباينات صارخة بين المجالس وتظل مشاكل الأراضي والبنيات العقارية تعرقل النمو الاقتصادي والتنمية بصفة شمولية[1].

[1] **karzazi. (M), « Migration et développement au Maroc », Série Thèse et Mémoires, . p : 8955 N°**

جودل رقم3 :

النظام العقاري للأراضي الصالحة للزراعة بمنطقة غفساي.

المتغيرة الجماعة	المساحة الصالحة للزراعة ب (هـ)	ملك خاص	أراضي الجموع	أراضي الاحباس	أراضي الكيش	أراضي الدولة
غفساي	168	165	0	3	0	0
البيبان	2538	2326	0	212	0	0
ودكة	3776	3754	0	22	0	0
الرتبة	4847	4758	14	75	0	0
سيدي الحاج امحمد	3368	3355	0	10	0	0
سيدي المخفي	1313	1268	45	0	0	0
س.يحيى بني زروال	4982	4953	0	29	0	0
تافرانت	6133	6058	0	44	0	0
تابودة	2530		2400	130	0	0
تمزكانة	7766	7465	66	29	0	206

المصدر : الاحصاء الفلاحي : 1996 – 1997

كما ورثت غفساي عقب الفترة الاستعمارية نظاما عقاريا معقدا، إذ عرفت الفلاحة بها سلسلة من التحولات ساهمت إلى حد كبير في تعقيد البنية العقارية، فأصبحت الاستغلالية الفلاحية الكبرى في ملكية فئة محدودة من الملاك الكبار، في حين ظلت الفئات العريضة من الفلاحين دون أرض، أو أنها تملك ملكيات مجهرية غير قادرة على سد حاجيات الأسر، إذ نجد أن" 73 ٪ تقل مساحتهم عن 5 هكتار و10 ٪ تتجاوز مساحتهم 5 هكتار "[1].

[1] الإحصاء الفلاحي،1996-1997.

- **زراعة الكيف بديل حقيقي لسد خصاص القطاع الفلاحي**

تجدر الإشارة الى أن ظهور زراعة القنب الهندي عرف تضاربا على مستوى المصادر التاريخية، فهناك من أرجع هذه الزراعة بالمغرب إلى "بداية القرن الحادي عشر الميلادي"[1].

وتشير الدراسات إلى أن زراعة القنب الهندي تم الترخيص لها بجبال الريف منذ أواخر القرن التاسع عشر من قبل السلطان المغربي الحسن الأول الذي سمح لخمس دواوير بقبيلتي كتامة وبني سدات بمزاولتها، منها دواران من قبيلة كتامة "بني عيس" بجماعة عبد الغاية السواحل "وكريحة" بجماعة كتامة المجاورة (Maurer. 1968 (G)).

ويؤكد MOULIERAS على ممارسة سكان هذه المناطق لزراعة القنب الهندي، وذلك بقوله: "يزرع القرويون هذه المساحات الصغيرة بالفول والعدس والحمص والقليل من الحبوب للاستهلاك الذاتي على الخصوص.... كما أنهم يقومون بزراعة الكيف"[2].

ومع نهاية القرن العشرين عرفت زراعة الكيف انتشارا واسعا حيث أصبحت العديد من مناطق الشمال بما فيها منطقة غفساي تستمد رزقها من هذه العشبة سواء عن طريق الزراعة أو عن طريق العمل في ميدانها، أو عن طريق الإتجار بها.

ويتطلب إنتاج الكيف عدة مراحل نجملها كالتالي:

يتم في المرحلة الأولى تهيئة الأرض للحرث (القليب) في شهري يناير وفبراير، ليتم زرع البذور في شهري مارس وأبريل. ثم تأتي بعدها مرحلة التنقية حيث يقوم

[1] **Boudouah.(M),2014, « La culture du Kif et son impact économique et social dans le rif central(Maroc) : cas de Ktama».**

[2] **Moulièras. (A), (1989), « Le Maroc inconnu », tom 1.**

الفلاحون بمساعدة المشتغلين في إزالة الأعشاب الضارة ثم النبتة الذكورية وترك النبتة الأنثوية.

صورة رقم1: حقل للكيف السقوي تبرز من خلاله الفصيلة الأنثوية من الذكرية

مباشرة بعد ذلك تبدأ عملية الحصاد على شكل حزمات ليتم تشميسها في مكان معزول لمدة تتراوح بين ثلاثة إلى خمسة أيام ليتم بيعها أو تحويلها إلى مرحلة موالية تسمى "الزيار" pressage حيث تتطلب هذه العملية عملا من نوع خاص.

مراحل تحويل نبتة الكيف إلى حشيش صلب

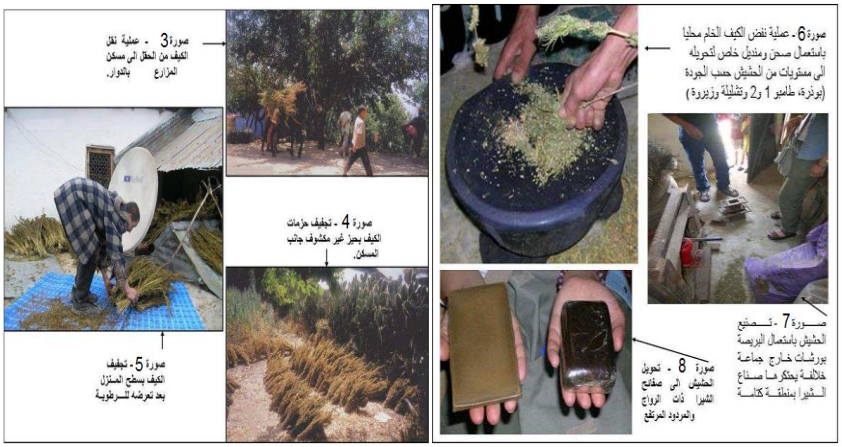

*** زراعة الكيف وقعها البيئي وانعكاساتها الاقتصادية والاجتماعية**

1. تدهور المجال الغابوي عن طريق الاجتثاث والحرائق :

يتم توسيع المساحات الزراعية واستغلالها في زراعة الكيف من طرف الساكنة عن طريق الاجتثاث وإضرام النار، حيث عرفت سنتا 2004 و2005 حرائق خطيرة بالمجال الغابوي لدائرة غفساي وصل عددها 22 حريق أدى إلى إتلاف أزيد من 251,81 هكتار، بقيمة مالية تقدر بحوالي 2120.450 درهم. حرق الملك الغابوي لتوسيع مساحات الكيف.

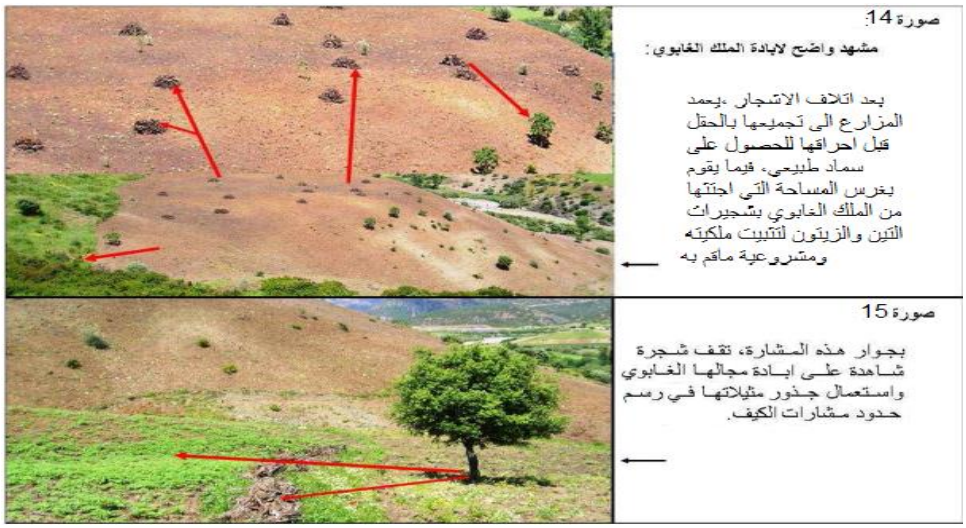

جدول رقم6:

الحرائق الغابوية بدائرة غفساي سنة 2004

الجماعة	عدد الحرائق	المساحة ب (هكتار)	القيمة المالية
ودكة	1	0.5	4900
الرتبة	7	195.3	1730200
غفساي	2	2.4	غير واردة
الوردزاغ	7	48.97	360000
تمزكانة	5	4.65	2500
المجموع	22	251.82	2120450

المصدر :مصلحة المياه والغابات2013 .

2. تهديد حقيقي للفرشاة المائية ولخصوبة واستقرار التربة

تتميز الأراضي الفلاحية بمنطقة غفساي بوضعيتها الهشة، نتيجة غسل مكونات التربة تحت وطأة التساقطات، واستنزافها بفعل الاستغلال المكثف، وهو ما دفع الفلاحين لاستعمال المخصبات بكميات كبيرة، وذلك لتعوض التربة بعض مكوناتها العضوية وبالتالي تستمر في مردوديتها. هذا إضافة إلى الضغط الكبير التي تعانيه الفرشاة المائية والموارد السطحية جراء سقي حقول الكيف.

صورة رقم19 و20: استعمال المحركات لضخ المياه في عملية السقي

3. اختلالات نظام التناوب الزراعي التقليدي السائد واستبداله بالزراعة البديلة

أدى إدماج الكيف بمنطقة غفساي إلى تراجع واضح لزراعة القمح، حيث أصبحت الاستغلالية تتوفر أساسا على منتوجين زراعيين هما الكيف والشعير، وأما زراعة القطاني فلم تعد تقتصر سوى على المشارات الضيقة المحيطة بالسكن والتي تدعى محليا بـ (الدمنة).

وتجدر الإشارة إلى أن المساحة المخصصة لزراعة الحبوب بمنطقة غفساي تراجعت، بين الموسم الفلاحي 2014-2015 و2016-2017، بأكثر من 4000 هكتار سنويا.

4. تطور الدخل السنوي للفلاحين بعد ممارسة زراعة الكيف

عرف الدخل السنوي للفلاح بعد زرعة القنب الهندي تطورا واضحا، حيث ارتفع معدل الدخل السنوي للفلاحين من 7500 درهم قبل الزراعة إلى 42333 درهم، وانتقل منوال الدخل السنوي من الفئة 10000 إلى 20000 درهم قابلة للزيادة إلى حدود 30000 درهم، مما أدى إلى تطور القدرة الشرائية وتحسين الظروف المعيشية لساكنة المنطقة، إضافة إلى توجه الفلاحين إلى شراء العقارات وتطوير مساكنهم من المساكن التقليدية إلى المساكن العصرية.

ونشير إلى أن المؤشرات في الوضعية الاقتصادية قبل الزراعة كانت متأرجحة بين فقر، وفقر مدقع، ووضعية مستقرة في بعض الأحيان، وهذا ما سوف يتغير كليا بعد زراعة القنب الهندي؛ لأننا سوف نشاهد تحسنا ملحوظا في الوضعية الاقتصادية للمزارع، "حيث انعدمت نسبة الفقر المدقع التي كانت تبلغ حوالي 33% قبل الزراعة، وتقلصت نسبة الفقر من 43.33%إلي 6 % و تنامت الوضعية الاقتصادية المتوسطة حيث بلغت نسبتها 73 % في حين شهدنا بروز طبقة غنية وصلت نسبتها إلي حدود 20 %، بعدما كانت طبقة الأغنياء شبه منعدمة في الوسط القروي، ولا يخفى التراجع الواضح في معدل الأزمات الخانقة التي كان يعيشها الفلاح قبل الزراعة حيث تراجعت نسبتها من 83% إلى 10 %، وبقيت من حين لآخر تهدد بعض الفلاحين "[1].

5. انتشار العمل المأجور

شكلت زراعة الكيف مستقبلا زاهرا بالنسبة لفئة عريضة من الفقراء والعاطلين لما تحققه من أرباح وما تتطلبه من يد عاملة، وبالتالي فإنها توفر فرص شغل مهمة بالوسط القروي، حيث إن حوالي 43.33% من الفلاحين يقومون بتشغيل العمال بشكل دائم

[1] المعطيات الإحصائية تعود للبحث الميداني الشخصي لسنة 2017.

بعدما كانت هذه النسبة لا تتجاوز 17% قبل الزراعة، وبالتالي تحول الفلاح القروي من عامل إلى فاعل اجتماعي واقتصادي يساهم في تنشيط البنية الاقتصادية والاجتماعية بالبادية.

6. تحول العلاقات التقليدية للإنتاج: من التويزة إلى العمل المأجور

بعدما كان نظام التويزة يعد شكلا من أشكال التضامن، حيث "يقوم على إرادة جماعية تطوعية، وهو نظام يتجند من خلاله فلاحو دوار أو قبيلة معينة، لتبادل منفعة العمل بشكل دوري"[1] .

أصبح هذا النظام اليوم يتلاشى نظرا لتسرب القيم الرأسمالية والفردانية القائمة على العمل مقابل أجر محدد، ولا نستثني أن لزراعة الكيف تأثيرا كبيرا في هذه المحصلة بالمنطقة.

7. تطور الهجرة المعاكسة

عرفت الهجرة بمنطقة غفساي خلال سنوات التسعينات تغيرا جوهريا ارتبط بظهور زراعة الكيف، حيث تعدّ هذه الأخيرة إحدى المحطات الأساسية في مسلسل الهجرة بالمنطقة، إذ كان لهذا النشاط (الكيف) الأثر البليغ في إحداث تغيرات جوهرية سواء على البنية الاقتصادية أو السوسيومجالية، فإذا كانت الهجرة قبل زراعة الكيف تعد إحدى الدعائم والركائز الأساسية في تقويم وهيكلة الاقتصاد المحلي، أصبح إشعاعها فيما بعد باهتا، ولم تعد قادرة على مقاومة دينامية المجال، فظهرت هجرة من نوع جديد، ويتعلق الأمر بالهجرة المعاكسة والتي أصبحت تهم أساسا فئات الجنود وأرباب المهن الحرة، مما جعل هذه الشريحة من المجتمع الجبلي تكرس كل جهدها واهتمامها لتطوير هذا النشاط الزراعي الدخيل بغية تحسين ظروفها المعيشية، وعلى هذا الأساس فإن

[1] . عبد الله هرهار،2012،سياسة الأرض وعوائق التنمية، مجلة إضافات، العدد 19 صيف 2012

"حركات السكان من وإلى الريف الأوسط غيرت اتجاه تياراتها التقليدية جذريا، فبعد أن كانت المنطقة ترسل أبناءها خارجا للعمل في شتى القطاعات، أصبحت اليوم تستقبل باحثين عن العمل في الفلاحة والبناء...ومن جهات الأقاليم المغربية."[1]

خاتمة:

اتضح من خلال ما سبق أن:

- الظروف الطبيعية تلعب تأثيرا قويا على حياة الساكنة بالمنطقة، حيث نقف على التجزؤ الكبير للسطح، وقساوة المناخ المتمثلة في طول مدة الفصل الجاف والتركز الكبير للتساقطات في الزمان والمكان، إضافة إلى هشاشة التربة، مما ينعكس على حركات السفوح ومضاعفة ظاهرة التعرية النهرية. أما على المستوى الهيدرولوجي فمنطقة غفساي تتميز بوفرة الموارد المائية السطحية وضعف الموارد الباطنية.
- المنطقة سجلت نموا ديمغرافيا مهما حيث تسجل الكثافات السكانية متوسطات مرتفعة، وما تشكله من عوامل الخلل وفقدان التوازن بين عدد السكان والموارد المحلية.
- –ضعف الاقتصاد القروي وهشاشته، نظرا لارتباط زراعة الحبوب والقطاني بالظروف الطبيعية (تجزؤ السطح، عدم انتظام التساقطات، التعرية...إلخ)، إضافة إلى تعقد الوضعية العقارية للأراضي وسيادة ملكيات مجهرية وتشتتها، كلها عوامل ساهمت في ظهور وتطور زراعة القنب الهندي خلال منتصف التسعينات كبديل حقيقي لسد الخصاص والضعف الذي يعاني منه القطاع

[1] محمد العبدلاوي، 1994، بعض مظاهر التحولات المجالية والسوسيو اقتصادية الحديثة بالريف الأوسط العالي، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية عبد المالك السعدي، تطوان، عدد 6، ص:21.

الفلاحي، مما انعكس على المستوى السوسيو اقتصادي للفلاحين نتيجة تطور الدخل السنوي بعد الزراعة وانتشار فرص الشغل وتطور الهجرة المعاكسة وتحول العلاقات التقليدية للإنتاج...إلخ، غير أنه من سلبيات زراعة الكيف تأثيرها السلبي على البيئة من خلال تدهور المجال الغابوي عن طريق الاجتثاث والحرائق لتوسيع مساحات الكيف، والضخ الكبير للمياه بهدف سقي محاصيل القنب الهندي والاستعمال المكثف للأسمدة والمخصبات....إلخ.

قائمة المراجع

حسن ضايض،2005، **المجال والمجتمع جنوب الريف الأوسط**، أطروحة الدكتوراة في الجغرافيا، كلية الآداب–سايس–فاس.

شاكر سعيد، 1995، **مظاهر التشكيل مجال غفساي الريف الأوسط: دراسة جيومورفلوجية**، بحث لنيل دبلوم الدراسة العليا في الجغرافيا، جامعة محمد الخامس، الرباط.

بوشتى الفلاح، 2000، **حركان السفوح والمخاطر المرتبطة بما في الريف الأوسط، أطروحة دكتوراه الدولة في الجغرافيا**، كلية الآداب، الرباط.

محمد لزعر، 2003–2004، **هجرة الريفيين الى اسبانيا وانعكاساتها الاقتصادية والاجتماعية والمجالية: حالة إقليم الحسيمة**، أطروحة الدكتوراه الدولة في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية–ظهر المهراز–فاس.

المجلات والتقارير

عبد الله هرهار، 2012، "سياسة الأرض وعوائق التنمية"، **مجلة إضافات**، العدد 19.

محمد العبدلاوي، 1994، "بعض مظاهر التحولات المجالية والسوسيو اقتصادية الحديثة بالريف الأوسط العالي"، **مجلة كلية العلوم الإنسانية**، عبد المالك السعدي، تطوان، عدد 6.

مونوغرافية غفساي.

الإحصاء العام للسكان والسكنى2014 .

الإحصاء الفلاحي لسنة 1997.

الخريطة الطبوغرافية لغفساي بمقياس 50000/1 لسنة 1953.

اللغة الفرنسية:

KARZAZI. (M), « Migration et développement au Maroc », **Série Thèse et Mémoires**, N° 55.

MAURER. (G), « **Les montagnes du rif central, étude géomorphologique** », N° 14, Rabat, 1968.

BOUDOUAH. (M), 2014, « La culture du Kif et son impact économique et social dans le rif central(Maroc) : **cas de Ktama**».

MOULIERAS. (A), (1989), « **Le Maroc inconnu** », tom 1.